ولعبدي ما سأل قال فاذا قال العبد بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى ذكرني عبدي فاذا قال العبد الحمد لله رب العالمين قال الله تعالى حمدني عبدي واذا قال الرحمن الرحيم قال الله تعالى اثنى علي عبدي فاذا قال مالك يوم الدين قال مجدني عبدي فاذا قال العبد اياك نعبد واياك نستعين قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل فاذا قال اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين قال هذا لعبدي ولعبدي ما سأل وذكر مسلم هذا الحديث ولم يذكر البسملة وعن ابي هريرة انه عليه الصلوة والسلم قال فاتحة الكتاب سبع آيات اولهن بسم الله الرحمن الرحيم وهو معارض باحاديث مروية في انه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستفتح الصلوة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين واما حديث ام سلمة رضي الله عنها قرأ رسول الله سورة الفاتحة وعد بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين آية فيحتمل الدخول فلا يكون آية برأسها بل مع ما بعدها ويحتمل الخروج بان قرأها تبركا فسقط الاستدلال بالحديث قطعا واما الاجماع على ان ما بين الدفتين كلام الله واثباتها في المصاحف بخط ساير القرآن مع مبالغتهم في تجريد المصحف عن غير كلام الله فلا نعرف ان دليلا اعلى من يزعم انها ليست بقرآن في اوائل السور بل في سورة النمل فقط وهو مما لا يجترئ ان يقول فان القرآن لا يكون غير قرآن بنقله عن موضعه هذا وان عليك ان تنظر في امثال هذه المعارك في الاخبار والابهام الحاصل منها تخليطها من المشارع فوهن في عقيدتك او مساهلة من الرواة فتسيء بهم ظنك فان ذلك وامثاله مبني على مصلحة الهية وغبطة شرعية يبتني عليها تشعب المذاهب والاجتهاد الصحيحة المشار اليها بقوله اختلاف امتي رحمة هذا الذي ذكره مبين على اصلين مختلف فيهما عند ارباب الجدل وعلى ترجيح ما هو الراجح فيهما عند ائمتهم احدهما هل بازاء الكل واقعة حكم معين من الشارع اولا وقد رجح الثاني حتى يصح ان يكون المجتهدان المتخالفان في مسئلة واحدة مصيبين وقوله عليه السلم في المجتهد من اجتهد واخطأ يريد انه لم يصب ما ارتضاه الشارع في الواقعة وجها واحدا كان او وجهين فالمجتهد مصيب تارة ومخطئ اخرى وليس بخاطئ ابدا ولذلك كان ماجورا على كل حال والثاني هل كان النبي عليه السلم ماكولا اليه شيء من الاحكام ام لا بد له من الوحي في ذلك وقد رجح الاول حتى يصح ان يكون المجتهد ايضا موكولا اليه شيء من الاحكام بتبعية النبي وورثته عليه وعلى الحاصل ان الواقعة قد يكون بازائها عند الشارع حكمان قد فوض الامر باحدهما الى اي المجتهد فما اخذه بمقتضى اجتهاده كان مرضيا للشارع وكان عمل المقلد به صحيحا فيصح اذن تقليد المجتهدين المخالفين في الرأي فمذاهب المجتهدين المصيبين كلها حق وان تداراء بعضهم بعضا لاحتجابهم عن رتبتهم وهم ورثة الانبياء في الوضع ونوابهم فيه والوضع ليس من باب الخبر حتى يقال فيه بالتناقض وانما هو من الشارع تشريع ومن المجتهد بيان لما ارتضاه الشارع برابطة حسنة حقيقية بينه وبين الشارع فكل الكل وصفيا شرعيا مرضيا للشارع بشعب خلافا فاتسع سبيل الشرع وتسهيلا على العباد فضلا من الله ورحمة ثم جعل ذلك فقد لقيتك على الطريق حقيقة ان من اسرار كلام الله تعالى نزوله على سبعة احرف ليتضمن كل حرف فوايد ليست في حرف واحد فيكون ادخل في الجمعية واوفق للايجاز ومن جملة ذلك ما اثبت بعض القراء البسملة ونفاها من جهة اخرى فان في ذلك اسرارا تنبهت على شيء منها في سورة الفاتحة وذلك ان بين البسملة وبينها نسبة اجمال وتفصيل فكما ان مضمونها بيان امر المبدأ والاحكام

المعاش

والرحمة استفاضت لحقائق الوجود وتخصيص بعضها ببعض حتى تحققت فيها نسبة المتبوعية والتابعية والحاملية والمحمولية والمحلية والحالية فتكونت المشار اليها بالرحمن في الحيز على هذا المنهج وكان من جملة تلك الحقائق نسبة التقدم والتأخر من غير ان يتعرف شيء بشيء منها فما الوجود قامت الاعيان بالحقايق بحسب استعداداتها حتى ظهر حكم الترتيب متقدم بعضها على بعض في الزمان بحكم الترتيب معتبرا في نظر العقل فتنبه بهذا فانه من لباب المعرفة الحمد لله رب العالمين الحمد هو الثناء على الجميل على جهة التعظيم والتبجيل والشكر ما ينبئ عن تعظيم المنعم ثناء كان باللسان او عملا بالاركان او اعتقادا بالجنان فيفترقان في الثناء لا في مقابلة نعمة وفي التعظيم بالاركان في مقابلة نعمة ويتصادقان في الثناء في مقابلة نعمة ومن لطايف اسرار كلام الله في الايجاز ايقاع لفظة الحمد هنا في موقع يصح ان يراد به معناه المخصوص به المفارق لمعنى الشكر ومعناه الذي يصدق عليه الشكر فانه جعل متعلق الحمد اولا الالوهية التي هي جمعية جميع الصفات الكمالية من غير ان يعتبر معها ايصال الحق الكونية الى كمالاتها اللايقة بها وثانيا الربوبية التي هي جمعية تلك الصفات بالاعتبار المذكور فجعل الحمد في مقابلة النعمة تارة وفي مقابلة النعمة اخرى ليكون مستعملا في معنيين باعتبار متعلقه فكان في ذكره مندوحة عن ذكر الشكر فات مثل هذا المساق فايدة عن الايجاز الذي ذكره قلت ثم الاشارة الى ان الحمد معظم ابواب الشكر لانه ادخل في اظهار النعمة واول على مكانها لما في الاعتقاد من الاشتمال من الخفاء ولما في اداب الجوارح من احتمال عدم المجازاة فهو رأس الشكر بل هو هو في الشكر بانتفائه وقد قال عم الحمد رأس الشكر ما شكر الله من لم يحمده واللام فيه للتعريف الجنس او الاستغراق اي مطلق الحمد وحقيقته او جميع افراد المحامد مخصوصة بذاته تعالى فان محاسن الصفات المثنى عليها ومجامع النعم المشكور لها مخصوصة به تعالى مستعارة منه في خلقه اذ ما من جميل الا وهو في حيطة الالوهية وما من نعمة الا وهي مشمولة للربوبية لما بيناه آنفا تنبيه غاية معنى الحمد اظهار الصفات الكمالية باخراج الاثار من القوة الى الفعل وهو في حق الله ايجاد العالم اظهار صفاته الكاملة في ملابس تلك الاثار وفي حق العبد اظهار الاثار التي كان هو واسطة في ايجادها من الصور العملية والاقوال والافعال الاختيارية والطبيعية حتى النفس الضروري وفيه تنبيه على ان العبد ينبغي له ان يقصد بجميع حركاته وسكناته وافعاله واحواله اظهار الصفات الكمالية الالهية ليخرج بذلك عن عهدة الحمد الذي عليه وفي شانه ويكون في وساطته لظهور تلك الاثار متذكرا للنعمة المتواترة الاتية في حقه ليخرج بذلك عن عهدة الشكر الذي عليه وفي شانه ولاجل العجز عن اداء هذا الحمد اشار النبي عليه السلم بقوله لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على نفسك اي بربوبيتك للعالمين والرب صفة من التربية وهي تبليغ الشيء الى كماله شيئا فشيئا سمي به المالك لانه حفظ ما يملكه ويربيه ولا يطلق على غير الحق تعالى الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك قال ارباب الطريقة هو مربي الاشباح بانواع نعمه ومربي الارواح باصناف كرمه ومربي نفوس العابدين باحكام الشريعة ومربي قلوب المشتاقين باداب الطريقة ومربي اسرار المحبين بانوار الحقيقة وانت قد عرفت ما في جمعة الالوهية والربوبية من الموافقة والافتراق فتذكره والعالم اسم لما يعلم به كالخاتم والقالب غلب فيما يعلم به الصانع وهو ما سواه من الجواهر والاعراض فانها لامكانها وافتقارها الى مؤثر واجب لذاته تدل على وجوده وانما جمعه ليشمل ما تحته من الاجناس المختلفة وصحح جمعه تغليبا للعقلاء على غيرهم ولك ان تقول جمعه تنبيه على ان اجزاء العالم علويها وسفليها جمادها ونباتها وحيوانها عالمة

Copyright © King Saud University